

الفصل الأول الكتابة التاريخية بالأندلس نشأتها وتطورها حتى عصر ابن حزم

ارتبط علم التاريخ في الأندلس بجذوره التي نشأ فيها بالشرق الإسلامي ، ففي الفترة التي فتح المسلمون فيها الأندلس سنة 92هـ / 711م كانت الكتابة التاريخية في المشرق لا تزال في بدايتها، لكنها ازدهرت وتطورت بعد ذلك. وعندما انتشر الإسلام بالأندلس ، وجد الأندلسيون أنفسهم بحاجة إلى تدوين تاريخ بلادهم وطرق الفتح ، ومن شارك فيه من القادة ، ومن تولى الحكم من الأمراء ، ومن ثم بدأت عملية التدوين التاريخي.

كان للتابعين والفقهاء الأوائل في الأندلس، السبق في وضع البذور الأولى لفكرة كتابة التاريخ على أرض الأندلس، بما روه بخصوص سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وسير الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، التي شاركوا فيها، وأخبار المسلمين في المشرق، مما يوحى بوجود رواية شفوية تاريخية تردد صداها في الأندلس⁽¹⁾.

بدأ التدوين التاريخي في الأندلس مع بداية العصر الأموي ، وكان أكثر الإخباريين والمؤرخين من موالى الأمويين الذين قصدوا بكتاباتهم إظهار ما للأندلس من فضائل وسماة تتميز بها⁽²⁾، كذلك فإن أوضاع الأندلس نفسها المتمثلة في الصراع المستمر

1 محمد عبد الحميد عيسى: المدرسة التاريخية في الأندلس في القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، مركز الشرق الأوسط ، القاهرة ، 1992م ، ص 6 ؛ عبد الواحد ذنون طه : نشأة تدوين

التاريخ العربي في الأندلس ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004 ، ص 5.

2 لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1958 ، ص 66.

داخليا وخارجيا، قد أثرت في كتابات المؤرخين، وجعلتهم يشعرون بأن للأندلس تاريخاً يستحق التدوين⁽¹⁾.

ويعتبر عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238 هـ / 852 م)⁽²⁾ أول أندلسي يصنف كتابا يطرح فيه تاريخ بلاده وسمه بـ (مبتدأ خلق الدنيا) أو (استفتاح الأندلس) المعروف بتاريخ عبد الملك بن حبيب الألبيري⁽³⁾، وقد اختلف أصحاب التراجم في

1 شوقي الجمل : علم التاريخ نشأته وتطوره ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2010 م ، ص 51.

2 فقيه الأندلس أبو مروان ، عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن الصحابي عباس بن مرداس ، السلمي العباسي الأندلسي القرطبي المالكي ، أحد الأعلام . ولد في حياة الإمام مالك بعد السبعين ومائة وأخذ عن : الغاز بن قيس ، وزيد شبطون ، وصعصعة بن سلام ثم ارتحل في حدود سنة عشر ومائتين ، وحج ، وحصل عن : عبد الملك بن الماجشون ، ومطرف بن عبد الله اليساري ، وأسد بن موسى السنة ، وأصبغ بن الفرج ، وأبي صالح ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وعدة من أصحاب مالك والليث ، ورجع إلى قرطبة بعلم جم ، وفقه كثير . وكان موصوفا بالحذق في الفقه ، كبير الشأن ، بعيد الصيت ، كثير التصانيف إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن ، بل يحمل الحديث تهورا كيف اتفق ، وينقله وجادة وإجازة ، ولا يتعانى تحرير أصحاب الحديث . صنف كتاب " الواضحة " في عدة مجلدات ، وكتاب " الجامع " ، وكتاب " فضائل الصحابة " ، وكتاب " غريب الحديث " ، وكتاب " تفسير الموطأ " ، وكتابا في " حروب الإسلام " ، وكتاب " فضل المسجدين " ، وكتاب " سيرة الإمام فيمن أهدى " ، وكتاب " طبقات الفقهاء " ، وكتاب " مصابيح الهدى . " أنظر ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966 م ، ص 269.

(3) آنخل جثالث بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 2 ، 2008 ، ص 229؛ وانظر : Makki, Mahmoud: (Egipto y los origenes de la historia grafia Arabe-Espanola), Rev. del instituto de estudios Islamicos, vol. V, Fasc 1-2, Madrid, 1957. p. 193; جب: دراسات في حضارة الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 3 ، 1979 ، ص 153؛ شاکر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 202 ؛ عبد الواحد ذنون : نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988 م ، ص 7.

أصله هل هو من موالي بني سُليم؟! أم أنه من بني سليم أنفسهم⁽¹⁾. في حين أرجعوا نسبه إلى الصحابي الجليل العباس بن مُرداس السُّلمي ، عبر سلسلة من الآباء تمتد لأربعة أو خمسة أجيال⁽²⁾.

عاش ابن حبيب في مدينتي البيره وقرطبة⁽³⁾ ثم رحل إلى المشرق ، وتردد على حلقات الدرس هناك ، لاسيما في المدينة المنورة ، حيث درس الفقه على مذهب مالك بن أنس ، ثم رحل إلى مصر ، ودرس على علمائها ثم عاد إلى بلاده واشتغل معلما بمسجد قرطبة⁽⁴⁾، وهذا ما يفسر اعتماده على الروايات المصرية التي كان يرويها

(1) قارن : ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، القاهرة ، ط5، 1982، ص263 ; الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، ط2 ، 1989، 447/2; الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، القاهرة ، ط1، 1989، 490/2.

(2) الخشني: أخبار الفقهاء ، ص245; وانظر : ابن الفرضي: تاريخ العلماء، 313-312/1; عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، نشره: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1998، 381/1.

(3) البيرة : كانت تقع في جنوب الأندلس و كانت كورة كبيرة و كانت حاضرتها يعنى عاصمة هذه الكورة هي مدينة قسطلة عرفت مدينة قسطلة فيما بعد بـ غرناطة ، وكان يكثر فيها المولدين "أهل الأندلس الذين دخلوا في الاسلام" ، وقد أنشأها عبد الرحمن الداخل وأسكنها مواليه ، لكن ترجح الدراسات الحديثة و ما وجد فيها من آثار على انها كانت عامرة كمنطقة ريفية او قرية صغيرة منذ عهد الرومان . أنظر ، المقرئ : فنج الطيب ، 148/1. وأما قرطبة : فكانت قاعدة الأندلس ، ومستقر الخلافة ودار الإمارة ، تقع على نهر كبير فوهته بجبل شقورة . أنظر ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، ص113، 114.

(4) بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص193، 194.

الشيوخ المصريين من أمثال الليث سعد (ت 175هـ/791م) ⁽¹⁾ وعبد الله بن وهب (ت 197هـ/812م) ⁽²⁾.

ويأتى كتاب ابن حبيب ضمن جنس التاريخ العالمى من أجناس الكتابة التاريخية ، وذلك على غرار ما كان سائداً فى المشرق من تواريخ عالمية ⁽³⁾ ؛ إذ إنه يبدأ الكتاب بالحديث عن أولية خلق الدنيا ، حيث يتحدث عن خلق السماوات والبحار والجبال

(1) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهري إمام أهل مصر فى عصره حديثاً وفقهاً. كبير الديار المصريه ورئيسها . ولد سنة 94هـ/713م فى قلقشنده بإحدى قرى طوخ الحالية . توفى بالقاهرة سنة 175هـ/791م ؛ وقد أفردناه بدراسة شاركنا بها فى إحدى مسابقات وزارة الثقافة حول أعلام القليوبية ، وكذا تناولناه بالدراسة فى كتابنا تاريخ أئمة المذاهب الإسلامية . لمزيد من التفاصيل أنظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1/207؛ ميزان الاعتدال 2/361.

(2) هو أبو محمد الفهري مولاهم عبد الله بن وهب بن مسلم الفقيه المالكي المصري المولود فى الفسطاط سنة 125هـ، لزم الإمام مالكا أكثر من عشرين سنة، وقضى حياته كلها فى طلب العلم . لقبه الإمام سفيان بن عيينة بشيخ أهل مصر، سمع ابن وهب من شيوخ مصر والحجاز والعراق، قد قيل: إن شيوخه الذين أخذ عنهم يزيدون عن أربعمائة. إلا أنه أطال الجلوس عند الإمام مالك، تعلم على يديه حتى صار عالماً جليلاً. كان يحبه الإمام مالك ويقدره حتى قيل: إنه ما نجا أحد من زجر الإمام مالك إلا ابن وهب. وقد كان يلقبه بالفقيه، وكان يسمح له بالكتابة عنه ثم لا يجد مانعاً لمراجعة ما كتبه عليه، وكان ابن وهب أحد ناشري المذهب المالكي فى مصر لأن أكثر الناس كانوا لا يستطيعون السفر إلى المدينة المنورة فكانوا يذهبون إلى ابن وهب يتعلمون منه الفقه المالكي ، وقد عُرف ابن وهب بكثرة رواية الأحاديث . وعندما كان الناس يختلفون فى شيء على الإمام مالك كانوا ينتظرون قدوم ابن وهب من مصر ليسأله، وقد رفض أن يتولى القضاء فى مصر عندما كتب إليه الخليفة بذلك ، فحجب نفسه ولزم بيته. أنظر: الذهبي : سير أعلام النبلاء، 9/224-234.

(3) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط 1 ، 1982م ، ص 238 ؛ ومن المؤرخين المشاركة الذين ظهوروا فى القرن الثالث الهجرى وكتبوا تواريخ عالمية ابن قتيبة ت (270هـ / 882م) فى كتابه "المعارف" ، أبو حنيفة الدينورى (ت 282هـ - 898م) فى كتابه "الأخبار الطوال" ، واليعقوبى (ت 281هـ - 897م) فى كتابه "تاريخ اليعقوبى" ، راجع: هاملتون جب: المرجع السابق، ص 155؛ فاروق عمر فوزى: التدوين التاريخي عند المسلمين، ص 108-113.

والجنة والنار ، وآدم وحواء ، وما وقع بينهما وبين إبليس ، ثم يذكر سير الأنبياء تباعاً حتى عيسى عليه السلام ، وكم منهم تكلم بالعربية والسريانية وخلافه (1) ، ثم يتحدث عن الكتب المنزلة وعدتها مائة وأربعة ، ثم يذكر حمل حواء ، ويتحدث عن هابيل وقايل ، ويفصل الحديث عن الأنبياء حتى عيسى ، ثم يفرد سيرة النبي محمد وحدها (2) ، ثم يذكر الخلفاء الراشدين ، ومن تلاهم من بنى أمية حتى خلافة الوليد بن عبد الملك ، وفي عهده فتحت الأندلس (3) ، ثم يتحدث عن تاريخ الأندلس فيبدأ بالحديث عن افتتاحها ، ثم يذكر من دخلها من التابعين ، ثم يذكر ما وجدته موسى بن نصير من ثروات وخيرات بطليطلة ، ثم يذكر مائدة سليمان ، ثم يتحدث عن من غزاها من الفاتحين ومن حكمها من الولاة ، ويذكر بعض الأساطير التي راجت على ألسنة الناس بشأن الأندلس (4) ، ويتحدث عن طبقات الفقهاء من لدن النبي بمكة والمدينة والشام والعراق ومصر والأندلس حتى زمانه (5) ، ثم يتحدث عن تفسير موطأ مالك ، وعن آداب الحكماء ونوادر العلماء ، والرغبة في جمع المال ، واختلاف الناس في غناهم وفقرهم ودينهم ، والتوسط في الأمور ، وما جاء في الطويل والقصير والربعة من

(1) أنظر : كتاب التاريخ ، اعتنى به عبدالغنى مستور ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1429هـ/2008م ، ص 13-33.

(2) نفسه ، ص 34-101.

(3) نفسه ، ص 102-139.

(4) نفسه ، ص 143-158 ؛ وقد قام أستاذنا الدكتور محمود مكى بتحقيق ونشر القسم الخاص بالأندلس ، تحت عنوان: "باب استفتاح الأندلس" في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1957 ، المجلد الخامس ، عدد 1 - 2 ، الصفحات 221 - 248 ، كملحق على مقال له بالإسبانية عن مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي . كما نشر المستشرق الإسباني خورخي أغوادى Jorge Aguade الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من الكتاب بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1991م .

(5) نفسه ، ص 165-182.

الرجال⁽¹⁾، وتنتهي النسخة التي اعتمدنا عليها من الكتاب عند هذا الحد . إلا أن بالثنيا يذكر أن ابن حبيب اختتم كتابه بالحديث عن قضاة الأندلس بناء على مخطوطة الكتاب التي اطلع عليها ، وتوجد منها نسخة بالمكتبة البودلية بأكسفورد⁽²⁾.

ويتضح من بعض التواريخ والأحداث أن أحد تلاميذ ابن حبيب وهو ابن أبي الرقاع أضاف للكتاب إضافات وزاد عليه زيادات . لا سيما إذا علمنا أن سلسلة أمراء الأندلس تصل إلى سنة 275هـ/888م ، وابن حبيب توفي في العام 238هـ/852م⁽³⁾. بل إن ابن أبي الرقاع يوضح تدخله في صياغة الكتاب بقوله : " وسمعت عبد الملك بن حبيب يقول .. "⁽⁴⁾ ، وقبل ذلك بقليل نرى ابن أبي الرقاع يجرى الحديث على لسانه في متن الكتاب ذاته فيقول : " قال ابن أبي الرقاع : أخبرني رجل من أهل العلم "⁽⁵⁾.

ورغم قدم هذا الكتاب فإن قيمته التاريخية ضئيلة لاختلاط المادة التاريخية التي قدمها ابن حبيب عن الأندلس بالأساطير حتى بدت وكأنها من روايات ألف ليلة وليلة إذ إنه يذكر لنا ما رآه طارق بن زياد في نومه من الرؤى ، ويطيل في وصف حصار المسلمين لمواقع يسكنها الجن ، ويدافعون عنها ، ويطنب في ذكر مائدة سليمان عليه السلام⁽⁶⁾ ، ومثل هذه الأساطير نجد طرفا منها عند ابن عبدالحكم في رواياته عن فتوح الأندلس⁽⁷⁾.

(1) نفسه ، ص 182-193.

(2) أنظر : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 194، 195.

(3) ابن حبيب : التاريخ ، ص 153 وما بعدها ؛ وانظر : بالثنيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 195.

(4) أنظر : التاريخ لابن حبيب ، ص 156.

(5) نفسه ، ص 156.

(6) أنظر : التاريخ ، ص 146 وما بعدها ؛ بالثنيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 195 ؛ طه

عبدالواحد : نشأة تدوين التاريخ ، ص 8.

(7) بالثنيا : مرجع سابق ، ص 196.

ومهما يكن من أمر هذا الكتاب وما حواه من أساطير فقد كان مصدرا لمن كتب عن تاريخ الأندلس بعده . إذ توجد شذرات ومرويات منه ضمن كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية تقترب من العشرة⁽¹⁾، نفع الطيب للمقري⁽²⁾.

لم تكن اهتمامات ابن حبيب بجنس التاريخ العالمي فحسب بل وجدناه يهتم بأحد أهم أجناس الكتابة التاريخية وهو جنس السير النبوية ومغازى النبي حيث صنف كتابين أحدهما في فضائل النبي ، والثاني في مغازى الرسول⁽³⁾ ، كذلك اهتم ابن حبيب بجنس ثالث من أجناس الكتابة التاريخية هو تاريخ الدول فيصنف كتابه : " حروب الإسلام " ، واهتم بالطبقات والتراجم فصنف كتابه : : فضائل الصحابة " ، وله أيضا " طبقات الفقهاء والتابعين " ⁽⁴⁾، والذي بلا شك ضمن جزءاً من مادته بكتابه التاريخ ، وكذا صنف كتاباً في فضائل مالك بن أنس لكونه من أوثق أصحاب الإمام مالك على حد تعبير المالكية⁽⁵⁾. كذلك اهتم ابن حبيب بجنس خامس من أجناس الكتابة التاريخية ، وهو الأنساب حيث صنف كتابه : " أخبار قريش وأنسائها " ⁽⁶⁾.

ومن اشتهر بالتدوين التاريخي في الأندلس بالقرن الثالث الهجري يحيى بن حكم الجياني المشهور بالغزال (ت 250هـ/864م) ، والذي نظم أرجوزة عن فتح الأندلس - لم تصلنا - عرفناها من خلال ابن حيان الذي وصفها وصفا حسنا ، وذكر أنها

(1) أنظر : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإيباري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت ، ط 2 ، 1410هـ/1989م ، ص 20، 21، 32.

(2) لطفى عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا ، ص 67 ; وانظر : عباس رضا : المكتبة الأندلسية ، مطبعة الكتاب ، بغداد ، 2008 ، ص 10.

(3) ابن فرحون : الديباج ، 12/2.

(4) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص 269.

(5) الحشني : أخبار الفقهاء والمحدثين ، تحقيق ماريانا لويسا آبيلا ولويس مولينا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1992 ، ص 246 ; وانظر : ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص

(6) ابن فرحون : الديباج المذهب ، 12، 11/2.

منتشرة بأيدي الناس حتى عصره بالقرن الخامس الهجري فقال: " وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس ، أرجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً ، وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها ، وعداد الأمراء عليها وأسماءهم ، فأجاد وتقصى ، وهي بأيدي الناس موجودة " (1). كذلك لعب الشاعر الغزال دوراً مهماً في التدوين التاريخي فيما يمكن أن ندرجه ضمن جنس تاريخ الدول والحكام من أجناس الكتابة التاريخية ، من خلال سفارته إلى القسطنطينية التي قام بها بأمر من الأمير عبدالرحمن الأوسط ، وحواراته مع الإمبراطورة تيودورا زوجة الإمبراطور تيوفيل وإحداها حول الختان ، وكذا حواراته مع الإمبراطور وإحداها حول جمال الإمبراطورة ، وكذا حواراه مع ولي العهد ميخائيل ، فضلاً عن مشاهداته وتوصيفاته لما رآه في عاصمة الدولة البيزنطية (2).

ومن أبرز مؤرخي الأندلس في القرن الثالث الهجري محمد بن موسى الرازي (ت 277هـ/890م) (3) شيخ المؤرخين في تلك الحقبة ، وعميد آل الرازي ،

(1) نقلاً عن المقرئ: نفع الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 301/1.
 (2) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، الرياض ، ط 1 ، 1424هـ/2003م ، السفر الثاني قطعة الأمير الحكم وبداية حكم الأمير عبدالرحمن ، ص 350-365 ؛ وانظر : المقرئ : نفع الطيب ، 7 / 371، 372 ؛ العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 153 ؛ ولمزيد من التفاصيل عن رحلات يحيى الغزال أنظر : محمد صالح البنداق : يحيى بن الحكم الغزال ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 ، 1979م ، ص 84-86 ؛ شريف مفلح : رحلات يحيى الغزال الأندلسي ، التراث العربي ، سوريا ، 1997م ، يناير - شعبان ، عدد 66 ، مجلد 17 ، ص 129-140.

(3) محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن القيط الكناني الرازي : رأس أسرة الرازي في الأندلس والتي نبغ فيها ابنه أحمد وحفيده عيسى ، وكان محمد تاجراً مشرقياً متجولاً . وفد الأندلس سنة 249هـ/864م ، وسكن قرطبة ، ونال ثقة الأمير محمد بن عبد الرحمن وابنه من بعده الأمير المنذر بن محمد (ت 277هـ/890م) ، وقام بالوساطة للصلح بين العرب والمولدين في غرناطة بأمر الأمير محمد ، وتوفي عقب عودته من هذه المهمة سنة 277هـ/890م . أنظر: ابن حيان القرطبي : المقتبس في أبناء أهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت ، 1973 ، ص 265-269 ؛ بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 196.

والذي اشتهر بكتابه : " الرايات " ⁽¹⁾ ، وفيه عالج أحد أجناس الكتابة التاريخية ، وهو جنس الفتوح ، وقد ضم معلومات قيمه عن دور القائد موسى بن نصير في فتح الأندلس وكيفية دخوله إلى البلاد وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته ، مع ذكر تفصيلات عن هذه القبائل وتجمعاتها وراياتها التي كانت تحملها حال دخولها الأندلس ، وأحصى هذه الريات فبلغت نيفا وعشرين راية ، منها رايتان لموسى بن نصير عقد له إحدهما أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على أفريقية وما وراءها ، والأخرى عقدها له الوليد على أفريقية أيضا وما يفتحه من بلاد المغرب ، وراية ثالثة لعبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسائر الرايات لمن دخل مع موسى من قريش ومن قواد العرب ووجههم ، كما ذكر سائر بيوت من دخل مع موسى بن نصير بدون راية ، وذكر إجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس وتعيين الأعماس وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية مع الاحتفاظ بديانتهم ⁽²⁾ .

ورغم أن كتاب الرايات من جملة الكتب المفقودة إلا أن ثلثة من المؤرخين أشاروا إليه ونقلوا منه مثل أبي بكر محمد بن عيسى بن مزين (كان حيا سنة 471هـ/1078م) الذي عثر على الكتاب في إحدى مكتبات إشبيلية سنة 471هـ/1078م ونقل بعض نصوصه ، وعنه اقتبس محمد بن عبد الوهاب الغساني في روايته عن سفارة اسبانيا سنة 1102هـ/1690م التي كلفه بها سلطان المغرب مولاي إسماعيل إلى كارلوس الثاني ملك اسبانيا ⁽³⁾ .

(1) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، دمشق ، 1972م ، 1/177 وما بعدها.

(2) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 192 ؛ وانظر : لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا ، ص 66 ؛ عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، 4/130 ، 131.

(3) طه عبد الواحد ذنون : تراث وشخصيات من الأندلس ، دار المدار الاسلامي ، طرابلس ، 2009 ، ص 70-71.

ومن اشتهر بالتدوين التاريخي في القرن الثالث الهجري تمام بن عامر بن علقمة الوزير (ت283هـ) (1)، والذي نظم أرجوزة في فتح الأندلس وتسمية ولايتها والخلفاء فيها ووصف حروبها، من وقت دخول طارق بن زياد إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ/822م-852م) (2)؛ وقد عول ابن القوطية في كتابه تاريخ افتتاح الأندلس على هذه الأرجوزة في أربعة مواضع (3).

ومن المحاولات الرائدة في التدوين التاريخي بالأندلس في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير وهو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، والذي أُلّف كتاباً ضمن جنس الفتوح؛ وهو "تاريخ الأندلس" تناول فيه دور موسى بن نصير في فتح الأندلس، وما جرى له فيها من الأحداث (4)، ورغم ضياع الكتاب. فإن المعلومات الواردة بكتاب الإمامة والسياسة - المنسوب لابن قتيبة الدينوري - عن حياة موسى بن نصير مأخوذة من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير، ويغلب عليها صفة الأساطير

(1) هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة، مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية ابن أبي سفيان، عرف بها ابنه لشرفها. ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس في طالعة بلج، وقد ولد تمام بن عامر وقت أن كان جده غالب بن تمام والياً على طليطلة، وقتله سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثله به في انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما. وولى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله، فانتظمت وزارته لثلاثة من الحكام. وعمر عمراً طويلاً زائداً على عمر جده الأكبر، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة 283هـ وقد بلغ ستاً وتسعين سنة. أنظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، 144، 143/1.

(2) ابن الأبار: الحلة السيرة، 144/1.

(3) أنظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص32، 47، 113، 114.

(4) الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص338.

والروايات الخرافية التي تهدف إلى إضفاء صفة البطولة الأسطورية على موسى بن نصير⁽¹⁾.

ويأتى معاوية بن محمد بن هشام الشبسي (ت 298هـ/910م) في آخر القرن الثالث الهجري كأحد من اهتم بالتدوين التاريخي حيث صنف في جنسين من أجناس الكتابة التاريخية: أولهما: تاريخ الدول والحكام ، والذي صنف فيه كتابه : " تاريخ دولة بنى مروان فى الأندلس " (2). وثانيهما : الأنساب ، حيث صنف كتابا فى نسب العلويين وسمه بـ " التاج السنى فى نسب آل على " (3).

ومما سبق يتضح الآتى :

أولا : اتسمت الكتابة التاريخية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى بغزارة الروايات والأسانيد وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعلم الحديث، والسيرة، والأنساب، واللغة والأدب، واختلفت مستوياتها من حيث الصحة، والدقة، والشمول، وتأثرت بالأهواء السياسية والمذهبية والدينية⁽⁴⁾.

ثانيا : ظهرت بدايات التأليف التاريخي بمعناه الواسع مع منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حيث تطور الكتابة التاريخية، ووفرة المادة التاريخية من كتب ومصادر وروايات فى الأمصار المختلفة.

ثالثا : امتاز المؤرخون فى القرن الثالث الهجرى بفهمهم التاريخ بالمعنى الشامل، حيث أظهروا اندفاعاً للرحلة فى طلب العلم ، وجمع المعلومات. كما استفادوا من أسلوب المحدثين فى توثيق الرواة والسند.

(1) طه عبدالواحد : نشأة التدوين ، ص 11.

(2) ابن الآبار : التكملة ، 2/183.

(3) ابن الآبار : التكملة ، 2/183.

(4) سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960، ص 24.

رابعا : اهتم مؤرخو الأندلس في القرن الثالث الهجري بالعديد من أجناس الكتابة كالتدوين في التاريخي العالمي أو العام ، وجنس التراجم والطبقات ، وجنس الفتوح.

وما أن أطل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتى بلغ التدوين التاريخي ذروته ، حيث شهدت الكتابة التاريخية تطورا ملحوظا من حيث تدوين المادة، وتنظيمها، وتطور الفكر التاريخي، وفلسفته ، ورغبة المؤرخين في الاختصار، الأمر الذي أدى إلى سقوط الإسناد. وبدأت الصلة تضعف بين علم التاريخ وعلم الحديث، ومن ثم استقل التاريخ عن الحديث ولكن دون أن يهمل التوثيق. إذ تزايد الاعتماد على الوثائق وذلك بعد أن عمل على هذا التدوين، الكتاب، والموظفون الرسميون، وأدخلوا في مصنفاتهم ما يقع تحت أيديهم من محفوظات الدواوين، ونصوص المعاهدات، أو الرسائل والخطب، وأحيانا نصوص الكتب التي يكتبونها هم أنفسهم⁽¹⁾.

وهكذا فقد جاء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لينهي محاولات التدوين التاريخي المتأثر بالمشرق والابتعاد عن الروح الأسطورية حيث ظهر مؤرخون حاولوا التجديد والتركيز على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلس ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالتدوين التاريخي في القرن الرابع الهجري عثمان بن ربيعة (ت 310هـ/922م) والذي أخرج لنا كتابا في جنس التراجم والطبقات وسمه ب : " طبقات الشعراء بالأندلس " ⁽²⁾. كذلك كان محمد بن عمر بن لبابة الفقيه (225 - 314هـ/840 - 927م) ، حافظا لأخبار الأندلس ⁽³⁾ ؛ وكان موسى بن محمد بن موسى بن حدير المعروف بالزاهد (ت320هـ/932م) . إخباريا يدون ما يتصل بأخبار

(1) شاكر مصطفى: التاريخ العربي، 1 / 378.

(2) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص272 ، ترجمة 701.

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، 2 / 34 .

الأسرة الأموية في الأندلس، وكان الأمير عبد الله يحثه على تدوين المهم مما كان يدور في مجلسه (1).

ومن برز في التدوين التاريخي بالقرن الرابع الهجري ابن عبد ربه (ت 328هـ) (2) ، والذي اهتم بجنس تاريخ الدول والحكام في كتابه الماتع العقد الفريد ، حيث ضمنه كتاباً عنوانه بـ " كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم " بدأه بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحديث عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي (3) ، ثم تحدث عن خلفاء بني أمية بدءاً من معاوية حتى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (4) ، ثم تحدث عن الدولة العباسية ونشأتها (5) ثم تحدث عن حكام الأمويين بالأندلس بدءاً من عبدالرحمن الداخل حتى عبدالرحمن الناصر الذي بدأ الحديث عن حكمه بقوله : " ثم ولى الملك القمر الأزهر، الأسد الغضنفر، الميمون النقيب، المحمود الضريبة، سيد الخلفاء، وأنجب النجباء، عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين، صبيحة هلال ربيع الأول سنة ثلثمائة، فقلت فيه:

(1) ابن حيان : المقتيس ، ص 34 ، 35 .

(2) أبو عُمَر شهاب الدين أحمد بن محمد عبد ربه بن حبيب بن حُدَيْد بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان في الحكم الأموي . وُلِدَ سنة 246 هـ ، ونشأ في قرطبة وتثقّف ثقافة عصره ، من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب ، واتصف بصفات الندماء من حب للموسيقى ، وغرام بالصوت الحسن والوجه الحسن ، وقد لازم الأمير (عبد الله) ونادمه زماناً ، ومدحه بمدائح ، فلما مات الأمير عبد الله سنة 300 هـ ، تولى بعده (عبد الرحمن الناصر) أول من لُقِبَ بأمر المؤمنين ، فاتصل به ولازمه ومدحه ، وتوفي (ابن عبد ربه) بالفالج سنة 328 هـ - بعد أن عُمِرَ إحدى وثمانين سنة وشهراً .

(3) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1404 هـ ، 3/5-79 .

(4) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 5/80-218 .

(5) نفسه ، 5/218-228 .

بدا الهلال جديدا ... والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدي ... ما كان فيه مزيد

وهي عدة أبيات، فتولى الملك، والأرض حمرة تحتم، ونار تضطرم، وشقاق ونفاق، فأحمد نيرانها، وسكن زلازلها، وافتتحها عودا كما افتتحها بدءا سميها عبد الرحمن بن معاوية، رحمه الله. وقد قلت وقيل في غزواته كلها أشعار، قد جالت في الأمصار، وشردت في البلدان، حتى أتهمت أنجدت وأعقرت، ولولا أن الناس مكتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها.. " (1).

ولابن عبد ربه في جنس تاريخ الدول والحكام أرجوزة في فتوحات ومغازي عبد الرحمن الناصر أول خليفة أندلسي قال عنها: " ولكننا سنذكر ما سبق إلينا من مناقبه التي لم يتقدمه إليها متقدم، ولا أخت لها ولا نظير، فمن ذلك أول غزاة غزاها، وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتتلون، افتتح بها سبعين حصنا، كل حصن منها قد نكلت عنه الطوائف، وأعياء على الخلائف ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والإسلام. وله غزاة مارشن، التي كانت أخت بدر وحنين، وقد ذكرناها على وجهها في الأرجوزة التي نظمتها في مغازيه كلها من سنة إحدى وثلثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة، وأوقعناها في أسفل كتابنا - العقد الفريد - لتكون جامعة لمغازي أمير المؤمنين، وجعلتها رجزا لخفة الرجز وسهولة حفظه وروايته " (2)، ويصدر ابن عبد ربه أرجوزته هذه بقوله: " وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة " (3).

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، 239/5.

(2) أنظر: العقد الفريد، 240/5، 241.

(3) نفسه، 241/5.

وتحتوى الأرجوزة على أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا من الشعر ، وقد قسمها على السنين ، وبدأ بالحديث عن فتوحاته ومغازيه من العام 301هـ ، حتى العام 322 هـ⁽¹⁾.
ولابن عبد ربه أرجوزة أخرى في الخلفاء ، وهى من جنس تاريخ الدول والحكام أيضا ، وقد طالعها قاضى قضاة الأندلس منذر بن سعيد البلوطى ، ووجده ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم واصل ذكر الخلفاء إلى عبدالرحمن بن محمد فغضب المنذر وسب ابن عبدربه وكتب فى حاشية الكتاب :

أو ما على لا برحت ملعنا يا ابن الخبيثة عندكم بإمام.

رب الكساء وخير آل محمد ... داني الولاء مقدم الإسلام⁽²⁾.

وبرز محمد بن هشام بن عبدالعزيز (ت 340هـ/951م) - حفيد الأمير الحكم بن هشام الأموى - فى جنس التراجم والطبقات حيث صنف كتابه : " أخبار الشعراء فى الأندلس " ⁽³⁾.

واشتهر قاسم بن أصبغ (ت 340هـ/ 951م) بكتابين أحدهما فى " الأنساب " وصفه ابن حزم بقوله : " فى غاية الحسن والإيعاب والإيجاز " ⁽⁴⁾ ، والآخر فى " فضائل قریش " ⁽⁵⁾ وقد ساهم ابن حزم : " فضائل بنى أمية " ⁽⁶⁾ ; ومن ثم يكون بكتابه هذين قد ساهم بالكتابة فى جنسين من أجناس الكتابة التاريخية هما الأنساب ، والتراجم .

(1) أنظر : العقد الفريد ، 5/242-265.

(2) المقرئ : فنج الطيب ، 2/512/511 ; وانظر : عبدالباقي السيد : تاريخ أهل الظاهر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م ، ص 156.

(3) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 85 ترجمة 156.

(4) أنظر : رسالة فى فضائل الأندلس ، 2/184.

(5) الحميدى : الجذوة ، ص 330-331.

(6) أنظر : رسالة فى فضائل الأندلس ، 2/184.

ومن بز في هذا القرن من مؤرخي الأندلس عبدالله بن عبيد الله الأزدي الملقب بالحكيم (341هـ/952م)، والذي كان عالماً باللغة وحفظ الأخبار والأنساب، وقول الشعر⁽¹⁾.

عاش الأزدي في عصر الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م)، واهتم بالتصنيف في جنس الأنساب من أجناس الكتابة التاريخية. حيث صنف كتاباً في الأنساب أهداه إلى الخليفة الناصر سنة 330هـ / 941م وجعل عنوانه: "أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم". ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس وقريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قريش ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا إلى الأندلس⁽²⁾.

غير أن هذا الكتاب قد ضاع في جملة ماضع من كتب الأندلس، ولكن نقل عنه بعض المؤرخين اللاحقين شذرات عن استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس من أمثال المؤرخ المراكشي (703هـ/1303م) في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة⁽³⁾.

(1) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954م، ص 327؛ وانظر: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، عنى بنشره السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة، 1956م، 2/783.

(2) ابن الأبار: التكملة، 2/233؛ وانظر: المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريف، بيروت، د. ت، السفر الأول، القسم الأول، ص 213؛ السفر السادس، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 208.

(3) المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق احسان عباس، السفر الخامس القسمين الأول والثاني، ص 574 - ص 654؛ السفر السادس، ص 205؛ وانظر: طه عبدالواحد: نشات التدوين، ص 11 - ص 13.

ومن الأندلسيين الذين صنفوا في تاريخ بلادهم لا سيما في جنسى تاريخ الدول ، والطبقات ، قبل انتهاء النصف الأول للقرن الرابع الهجري محمد بن عبد الرؤوف (ت343هـ/955م) ؛ والذي صنف في الأخبار والتواريخ ، وطبقات الشعراء بالأندلس، فوجود في ذلك، وبلغ الغاية في الإتقان على حد قول الزبيدي⁽¹⁾ .

بيد أن المحاولات الجادة الأولى لوضع أساس علم التاريخ في الأندلس بالقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ظهرت على يد أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت344هـ/955م) ، والذي كان امتداداً لوالده محمد بن موسى الرازي شيخ المؤرخين في عصره وعميد مؤرخي الأندلس . تتلمذ أحمد الرازي على شيوخ قرطبة من أمثال قاسم بن أصبغ الجياني (ت340هـ/951)⁽²⁾ ، والذي ترك اثراً كبيراً على الرازي ، لأن ابن أصبغ اشتهر بمؤلفه في الأنساب والموسوم بـ : الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس، كما استفاد الرازي أيضاً من شيخه قاسم بن أصبغ باستخدامه الترجمة التي قام بها ابن اصبغ لكتاب التاريخ لهروشيش (باولوس أوريوس) بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران قاضي النصارى في قرطبة⁽³⁾ ، وقد استفاد الرازي من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه كما فعل هروشيش ، ومن ثم صارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلس من بعده⁽⁴⁾ .

(1) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، ص 309 .

(2) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس ، ص 338 ؛ وقاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء القرطبي هو : محدث حافظ مكثر عارف بالرجال والأنساب والنحو والشعر . سكن قرطبة وولد سنة 248هـ/862م ، وتوفي سنة 340هـ/954م . أنظر : ابن الفرضي المصدر نفسه، 1/406،407.

3- عبد الواحد ذنون : تراث وشخصيات من الأندلس، ص 75.

(4) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيه والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي ، ط 2 ، القاهرة 1986، ص 56-72.

وقد أحصى ابن حزم الأندلسي في رسالته النفيسة في فضل الأندلس مصنفات أحمد الرازي (1)، وجميعها تدور حول تاريخ الأندلس وطرقها ومسالكها وبعض ثوارها والمتمردين فيها، ويمكننا من خلال إحصاء ابن حزم أن نقف على أجناس الكتابة التاريخية عند أحمد الرازي والتي شملت التالي:

أولاً: الأنساب: حيث صنف الرازي كتابه: "الاستيعاب في أنساب الأندلس"، وكتاب "أنساب مشاهير أهل الأندلس" يحتوي على خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها على حد قول ابن حزم (2)، وقد اعتمد ابن الأبار اعتماداً كبيراً في كتاباته على أنساب مشاهير أهل الأندلس للرازي (3).

ثانياً: تاريخ الدول والحكام: حيث صنف الرازي: كتاب "أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم وركبانهم" (4) وصفه الحميدي بأنه كتاب كبير (5)، وكتاب "مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة، وهو كتاب ضخمة، وكتاب "طرق الأندلس وموانئها، ومدنها الرئيسية وتجمعات جندها وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره.

ثالثاً: التراجم والطبقات: ومن مصنفاته في هذا المجال كتاب: "أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه"، وكتاب "أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف"، وكتاب "أخبار بني قسي والتجيبين وبني الطويل في الثغر" (6)، وكتاب "كبار الموالى الأندلسيين" أو أعيان الموالى بالأندلس" (7).

(1) ابن حزم: رساله في فضائل الأندلس، رسائل ابن حزم، 2/184، 183.

(2) نفسه، 2/184.

(3) بالثبوت: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 197.

(4) نفسه، 2/183.

(5) أنظر: الجذوة، ترجمة رقم 175.

(6) نفسه، 2/183.

(7) بالثبوت: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 197؛ وانظر: لطفى عبدالبديع: الإسلام في أسبانيا،

ص 69.

رابعا : تاريخ المدن : حيث صنف الرازي كتابه : " صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها " (1).

ومن سوء الحظ أن تلك المصنفات لم تصل إلينا (2) شأنها شأن الكثير من كتب الأندلس ، ولعل ما يعوض هذه الخسارة هو قيام المؤرخون المتأخرون باقتباس الكثير من رواياته ونصوصه في مؤلفاتهم ، ومن ثم كانت معظم كتب الرازي المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤلفين العرب الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلس (3) . فقد استفاد منه ابن حيان ونقل عنه روايات كثيرة منها خبر خروج عبدالله بن عبدالرحمن الداخل على ابن أخيه الحكم بن هشام (4) ، وخبر مصالحة الأمير الحكم لعمه عبدالله الشهير بالبلنسى (5) ، وخبر غزو الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث لدار الحرب (6) . كما استفاد منه ابن سعيد ونقل عنه نقولات مطولة منها ما ذكره في ترجمته للحكم الربضي (7) ، وما نقله بخصوص دار السكة بقرطبة التي أسسها عبدالرحمن بن الحكم (8)

(1) نفسه ، 2/183.

(2) لم يصلنا من تراث الرازي سوى مقدمته الجغرافية عن وصف الأندلس ، والتي ترجمها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال إلى الفرنسية ، ونشرها بمجلة الأندلس ، سنة 1953م ، مجلد 18 ، ص 51-108.

(3) من أمثال ابن حيان ، ابن الآبار ، ابن الأثير ، ابن عذاري ، ياقوت الحموي ، ابن الخطيب ، الحميري ، المقري .

(4) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثاني ، ص 93-99.

(5) نفسه ، ص 102، 101.

(6) نفسه ، ص 103 ، 104.

(7) أنظر : المغرب ، 1/39، 40.

(8) نفسه ، 1/46.

ومن اهتم بتاريخ الدول والحكام صاحب كتاب: " أخبار مجموعة " ، وهو مؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أو مجموعة من المؤلفين على قول خوليان ريبيرا⁽¹⁾، والكتاب عبارة عن مجموعة من المذكرات، والفقرات التاريخية، سجلها صاحبها شيئاً فشيئاً دون أن يربط بينها، أو يرتبها ترتيباً تاريخياً. وتدور أحداثه حول وقائع التاريخ الأندلسي، من الفتح الإسلامي إلى خلافة عبد الرحمن الناصر ، وأهم فقراته وأوفرها مادة تلك التي تتعلق بدخول طارق بن زياد الأندلس ، وفتح قرطبة وماردة ، ودور موسى بن نصير في الفتح ، ودخول بلج بن بشر الأندلس ، والفتن والحروب التي دارت بين العرب عقب ذلك ، ثم ولاية يوسف الفهري ، والصميل بن حاتم على الأندلس ، ثم الحديث عن عبدالرحمن بن معاوية الداخل وخطته وانتصاراته على خصومه ، وتأسيسه الإمارة الأموية بالأندلس⁽²⁾. ويعتبر هذا الكتاب مصدراً أساسياً في تاريخ الفترة التي تناولها، إذ إن مؤلفه تتبع أخباره من جميع مصادرها السمعية والكتابية، وتوخى فيها الدقة بشكل جعل لروايته قيمة تاريخية كبيرة⁽³⁾.

وقد فحص المستشرق الأسباني كتاب أخبار مجموعة ، وقام بتحليل مادته ، وخلص إلى القول بأنه صنف في عصر عبدالرحمن الناصر ، وأن الكتاب لم يصنه شخص واحد بل أشخاص مختلفون في الثقافة والطبع والفكر والذوق⁽⁴⁾.

(1) بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 199 .

(2) مجهول : أخبار مجموعة ، تحقيق محمد زينهم ، دار الفرجاني ، القاهرة ، ط 1 ، 1414هـ/1994م ، ص 49-133 ; وانظر : بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 199; الطاهر مكى: دراسات أندلسية ، ص 34.

(3) أحمد مختار العبادي: من التراث العربي الأسباني، ص 43، مقال نشر بمجلة عالم الفكر، مجلد 8، عدد 1، الكويت، 1977.

(4) بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 199 ، 200.

ويعتبر عبدالله بن مغيث (ت 352هـ/693م) - والد شيخ ابن حزم أبى الوليد بن يونس المشهور بابن الصفار - أحد أبرز من صنف عن شعراء بنى أمية إذ كلفه الحكم المستنصر أن يصنف له كتاباً عن شعراء الخلفاء من بنى أمية بالأندلس والمشرق مع ذكر أشعارهم فأجابه إلى ذلك ، وكان قد اعتذر عن غزو الروم مع المستنصر لضعف في جسمه فأذن له المستنصر شريطة أن يصنف له كتاباً عن شعراء بنى أمية⁽¹⁾، وهو في جنس التراجم والطبقات .

ومن صنف في جنس التراجم والطبقات في عهد الحكم المستنصر أحمد بن فرج الجياني ، والذي صنف كتاباً في المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم⁽²⁾.

ويلحق بالجياني في ذات الجنس من الكتابة التاريخية حسين بن عاصم الذي صنف كتاباً في سيرة المنصور بن أبى عامر وغزواته وأوقاتها وسمه ب: " المآثر العامرية "⁽³⁾.

وقد صنف في جنس التراجم والطبقات كل من الأقتنين محمد بن هاشم النحوى الذى صنف كتاباً في طبقات الكتاب بالأندلس ، وعلى نفس نهجه فعل سكن بن سعيد حيث صنف كتاباً هو الآخر حمل نفس العنوان⁽⁴⁾.

ويعد محمد بن حارث بن أسد الخشني القيروانى (ت 361هـ/) أبرز مؤرخ اهتم بالتراجم والطبقات ، وهو قيرواني المولد ، ورحل إلى الأندلس فحل بقرطبة وتلمذ على كبار علمائها من أمثال محمد بن عبد الملك بن أيمن⁽⁵⁾. وقاسم بن أصبغ ، وأحمد بن

(1) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 221 ترجمة 533.

(2) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 92 ترجمة 176.

(3) ابن حزم : رسالة في فضائل الأندلس ، 184/2.

(4) ابن حزم : رسالة في فضائل الأندلس ، 184/2.

(5) محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت330هـ/942م) : أبو عبد الله محدث أندلسي رحل إلى العراق وحدث بالمشرق وبالأندلس وله كتاب في السنن احتوى من صحيح الحديث وغيره على مائيس في كثير من المصنفات. أنظر: ابن حزم : رسالة في فضل الأندلس ، 179/2 ; الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 63.

عباده⁽¹⁾ ; وكان للخشني اهتمامات متعددة ، أهمها الحديث والفقه واللغة ، وقد نال تشجيع الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله الذي طلب منه تأليف كتاب القضاة بقرطبة ويسر له الاستفادة من مكتبة القصر الملكي التي كانت عامرة بالكتب والمصادر المختلفة⁽²⁾ ، وقد عالجت مصنفاته جميعها جنس واحد من أجناس الكتابة التاريخية وهو جنس التراجم والطبقات ، ومن مصنفاته كتاب " تاريخ علماء الأندلس " ، وكتاب " تاريخ الأفريقيين " ، وكتاب " أخبار الفقهاء والمحدثين " ، وكتاب " رجال الأندلس " ، وكتاب " المولد والوفاة " ، وكتاب " أخبار القضاة بالأندلس " ⁽³⁾ .

وهناك مؤرخ آخر وهو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن عبدالله الوراق القيرواني (ت 363هـ) ولد بالقيروان في أسرة يرجع أصلها إلى مدينة وادي الحجارة بالأندلس وقد نشأ وترعرع في مدينة القيروان وأصبحت له شهرة واسعة في تاريخ وجغرافية شمال أفريقيا رحل إلى قرطبة في أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله (350هـ - 395هـ/961-976م) واتصل بالبلاط الأموي حيث رحب به الخليفة وقربه إليه وعهد إليه بتأليف عدة أعمال تتعلق بتاريخ وجغرافية أفريقية والمغرب الأوسط أشار إليها ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس⁽⁴⁾ .

وبمطالعة عناوين الكتب التي صنفها الوراق يتضح أنه شغل نفسه بجنسين من أجناس الكتابة التاريخية : الأول : تاريخ الدول والحكام : وفيه صنف كتابه : " مسالك

(1) أحمد بن عباده (ت332هـ/944م) : هو أحمد بن عباده بن علكده بن نوح أبو عمر الرعيني المالكي إمام جامع قرطبة كان زاهدا فاضلا أنظر : الذهبي : تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، 67/25 .

(2) عباس رضا : المكتبة الأندلسية ، ص28 .

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، 113/2 ؛ وأنظر : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص531 ؛ عياض اليعقوبي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 ، 531/2 .

(4) ابن حزم : رساله في فضائل الأندلس ، رسائل ابن حزم ، 175/2 .

أفريقيه وممالكها" الذي وصفه ابن حزم بالديوان الضخم⁽¹⁾، فضلا عن تصنيفه العديد من الكتب حول أخبار ملوك أفريقية وحروبهم والقائمين عليها⁽²⁾.
أما الجنس الثاني من أجناس الكتابة التاريخية والذي نشط فيه الوراق فهو تاريخ المدن أو التاريخ المحلي، وله فيه المصنفات الجمة التي وصفها ابن حزم بقوله: "تأليف حسانا"⁽³⁾، ومنها تاريخ تيهرت، وتاريخ وهران، وتاريخ تونس، وتاريخ سجلماسة، وتاريخ نكور، وتاريخ البصرة وغيرها من المصنفات على حد قول ابن حزم⁽⁴⁾.

ورغم فقدان هذه الكتب فقد بقيت نصوص منها في بطون المصادر التي نقل أصحابها منها، ومن ذلك ما قام به أبو عبيد البكري من تضمين كتابه المسالك والممالك نصوصاً كثيرة من كتاب الوراق (مسالك أفريقية وممالكها)، وأشار إلى الوراق صراحة في غير ما موضع من كتابه⁽⁵⁾. كما أشار ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) إلى بعض النصوص التي ذكرها الوراق، نقلها عنه في بيانه⁽⁶⁾.
وبرز أيضا في القرن الرابع الهجري مؤرخ تخصص في جنس الفتوح من أجناس الكتابة التاريخية في الأندلس، وهو أبو بكر محمد عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية - حفيد الأميرة سارة ابنة المند بن غيطشة آخر القوط بالأندلس - (ت

(1) أنظر: رسالة في فضل الأندلس، 175/2.

(2) ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس، 175/2.

(3) أنظر: رسالة في فضل الأندلس، 175/2.

(4) أنظر: رسالة في فضل الأندلس، 175/2. والبصرة هي إحدى مدن المغرب، وكان موضعها بالقرب من مدينة أصيلا.

(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، 1857م، ص 4، 6، 9، 10، 12، 28، 52، 60، 58، 68، 70، 91.

(6) - ابن عذارى: البيان المغرب، 1/26، 124، 139، 129، 179، 180، 223.

367هـ / 977م) (1) ، ولد بقرطبة ودرس في إشبيلية وكان عالماً بالنحو واللغة متقدماً فيها على أهل عصره ، حافظاً لأخبار الأندلس، ملماً برواية سير أمرائها وأحوال فقهاءها وشعرائها، وكان يملي ذلك عن ظهر قلب (2) .

وأهم ما تبقى من مؤلفاته كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) الذي يتناول الكلام فيه عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد سنة 300هـ/912م (3)، وهذا الكتاب كتب من قبل طلاب ابن القوطية إذ كان الأخير يروي الأخبار والطلبة يكتبون ولذلك جاءت الأخبار بصيغة: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال (... (4) ; ورغم كل ذلك فهذا الكتاب من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي بالأندلس، لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسي، وانتساب المؤلف إلى هذا المجتمع، ومحاولته رسم صورة واقعية للإحداث التي مرت على بلده منذ الفتح وإلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (5) .

ومن مؤرخي الأندلس في القرن الرابع الهجري عريب بن سعد القرطبي (ت370هـ/980م) كان أديبا شاعرا، لغويا، مؤرخا، طبيبا، ينتمي بالأصل إلى بيت

(1) لطفى عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا ، ص70.

(2) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص76 .

(3) الأمير عبد الله بن محمد (275 - 300هـ / 888-912م) : ولي الحكم بعد اخوه المنذر ، وكان خراج الأندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار، فأنفق الوفير حين اضطرت عليه نواحي الأندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين ، وقل الخراج ، وتوفي سنة ثلاثمائة ومدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة . أنظر : ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار أحياء التراث العربي ، ط4، بيروت ، 1971م ، 4/133 .

(4) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص22-29، 24.

(5) طه عبدالواحد : نشأة التدوين ، ص17 - ص18 .

من بيوت الموالي يعرفون ببني التركي⁽¹⁾. عمل في عدة وظائف إدارية مهمة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 - 350هـ / 912 - 961م) منها تقليده كورة أشبونة سنة 942/331م ، وكذلك خزانة السلاح . كما عمل كاتباً في ديوان الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (350_366 هـ / 961 - 977م)، وكانت له علاقات واسعة وصلات قوية بكبار رجالات الدولة في عصره أمثال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي⁽²⁾ وكذلك كانت منزلته عالية عند الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر⁽³⁾.

وقد صنف عريب بن سعد في جنسين من أجناس الكتابة التاريخية حسب ما وصلتنا الأخبار عن مصنفاته ، الأول : في التاريخ العالمي أو العام حيث اختصر تاريخ الطبري (ت310هـ/922م) المعروف بتاريخ الرسل والملوك ثم وضع له ذبيلاً بدأه من سنة 291 - 320 هـ⁽⁴⁾، وأما الثاني فجاء في تاريخ الدول وتحديدًا في تاريخ المغرب والأندلس ، وهذا الكتاب الذي يمثل رواية لعريب بن سعد حول تاريخ المغرب والأندلس ، رغم ضياعها ، فيمكننا الوقوف على بعض ملامحها من خلال

(1) المراكشي : الذيل والتكملة، 142/5.

(2) الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي: جعفر بن عثمان بن نصر، ابو الحسن الحاجب المعروف بالمصحفي، وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب وله شعر كثير جيد قتل سنة 372هـ/982م. أنظر: ابن خلدون، العبر، 4/144.

(3) الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر : حاجب الأندلس الشهير ، ومؤسس الدولة العامرية التي نازعت الخلافة سلطانها فترة من الزمن ، توفي بأقصى الثغور بالطن (أصابته علة في بطنه) سنة 393هـ/1003م. أنظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 13/17.

(4) نشره المستشرق دي غويه في ليدن سنة 1797 بعنوان صلة تاريخ الطبري ; وأعاد محمد أبو الفضل إبراهيم تحقيقه ونشره في دار المعارف بالقاهرة ضمن ذيول تاريخ الطبري سنة 1977م.

الشذرات التي احتفظ بها ابن عذاري قد في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب⁽¹⁾.

ومن أبرز مؤرخي القرن الرابع الهجري عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي الكناني (379هـ / 989م)⁽²⁾ ، والذي أكمل كتاب الرايات لجدته محمد بن موسى الرازي ، وكذا أكمل كتاب والده أحمد الموسوم بأخبار ملوك الأندلس . اشتغل عيسى بن أحمد في البلاط الأموي بقرطبة ، وسار على خطى والده أحمد الرازي في تدوين تاريخ الأندلس فكتب تاريخاً عاماً للأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر⁽³⁾ ، وسمه (بتاريخ الأندلس) ، وكان قد صنّفه للخليفة الحكم المستنصر وابتدأه منذ الأحداث الأولى التي مرت على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، وقد ضمن عيسى الرازي كتابه معلومات أساسية عن الجذور التاريخية للأحداث التي تناولها ، فجدده حين يتحدث عن استعادة الخليفة الناصر لدين الله (300 - 350هـ / 912 - 961م) لطاعة مدينة طليطلة ، يعرف بتاريخها منذ أقدم العصور ، ويسهب في ذكر الأحداث التي مرت عليها خلال العصر الروماني ، وموافقها إزاء الحكام والأباطرة ، ولا سيما غزوها من قبل يوليوس قيصر ، الذي يسميه " يوليوش مالك روما الأكبر"⁽⁴⁾ . وقد استفاد جل مؤرخي الأندلس من كتاب عيسى بن أحمد الرازي الخاص بتاريخ الأندلس ونقلوا عنه نقولات مطولة ، ومنهم المؤرخ الفذ ابن حيان الذي نقل أخباراً وروايات مطولة عنه في مقتبسه منها ما نقله عن منازعة سليمان وعبدالله ولدا عبدالرحمن الداخل لابن أخيها الحكم بن هشام⁽⁵⁾ ، ونقله خبر خروج بهلول بن أبي

(1) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1951 ، 4/2 ، ص5.

(2) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص2/5.

(3) عباس : المكتبة الأندلسية ، ص10.

(4) ابن حيان : المقتبس ، ص274 .

(5) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثاني ، ص99-101.

الحجاج على الأمير الحكم بسرقسطة ، ومحنة أهل طليطلة⁽¹⁾، ونقله خبر سفارة الغزال إلى القسطنطينية بأمر من الأمير عبدالرحمن بن الحكم⁽²⁾ ، كذلك أشار أبو عبد الله محمد بن الأبار (ت658هـ/1260م) إلى بعض رواياته عن الأمير عبد الرحمن الداخل⁽³⁾ . كما نقل عنه المقري (ت1041هـ/1631م) شذرات تعود إلى عصر الولاة وتشير بوضوح إلى كيفية نشوء المقاومة الإسبانية بقيادة بلاي Pelaye في منطقة جليقة Galicia⁽⁴⁾ .

ولم يقصر عيسى بن أحمد الرازي نشاطه في الكتابة التاريخية على جنس تاريخ الدول والحكم ، بل اعتنى بالتأليف في مجال التراجم والطبقات حيث صنف كتاباً فريداً عن الحجابة في الأندلس ، وسمه باسم : " حجاب خلفاء الأندلس " ، وهو أيضاً من كتبه المفقودة⁽⁵⁾ ؛ وقد وقفنا على خبر أحد الحجاب نقله ابن الأبار في حلته وأسبق ذلك بقوله : " وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس من تأليفه " ⁽⁶⁾ ، وهذا الخبر يخص هاشم بن عبدالعزيز الذي استحجبه الأمير المنذر بن محمد ثم قتله في نفس العام الذي استحجبه فيه ، ونكب بأسرته وأهله⁽⁷⁾ .

ومما سبق يتضح أن عيسى بن أحمد بن محمد الرازي شغل نفسه بثلاثة أنواع من أجناس الكتابة التاريخية وهي الفتوح حيث أتم كتاب جده الرايات ، وتاريخ الدول

(1) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثاني ، ص104 ، 106 ، 107 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ، السفر الثاني ، ص350-365 .

(3) ابن الأبار : الحلة السيرة ، 37/1 .

(4) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 ، 351 ، 350/4 .

(5) بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص198 ؛ وانظر : لطفى عبدالبديع : الإسلام في اسبانيا ، ص69 .

(6) أنظر : الحلة السيرة ، 138/1 .

(7) أنظر : الحلة السيرة ، 138/1-140 .

حيث أتم كتاب والده عن أخبار ملوك الأندلس ، وأفرد الأندلس بتاريخ خاص بز فيه وتميز عن من سبقوه وللأسف فهو من جملة الكتب المفقودة . كذلك صنف في مجال التراجم والطب كما سبق .

وممن شارك في التدوين التاريخي بالأندلس في هذا القرن محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/989م) ، والذي صنف كتابا في جنس التراجم والطبقات وسمه ب : " طبقات النحويين واللغويين " (1).

ويلحق بالزبيدي في جنس التراجم والطبقات سليمان بن جلجل (ت 384هـ/994م) والذي صنف كتابا وسمه ب : " طبقات الأطباء والحكماء " ، وذكره ابن حزم باسم : " أخبار أطباء الأندلس " (2).

كما كتب أبو عامر بن شهيد (ت 392هـ / 1002م) تاريخاً كبيراً في جنس التاريخ العام أو العالمي روى فيه الحوادث من سنة أربعين للهجرة أى من وفاة علي بن أبي طالب إلى أيامه . ويقع في أكثر من مائة جزء ، وجعله على طريقة الحوليات (3) ، ويبدو أنه كان أموى الهوى والنزعة ، ومن ثم جعله خاصاً بالدولة الأموية في بدايته إذ بدأه من العام الذي توفي فيه علي بن أبي طالب .

وصنف إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني (ت 399هـ/1008م) في تاريخ المدن أو التاريخ المحلي ، حيث خص مدينة رية الأندلسية بكتاب وقف عليه ابن حزم وصفه بقوله : " كتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها " (4).

(1) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص 42 ترجمة 34.

(2) أنظر : رسالة في فضائل الأندلس ، 2/184.

(3) بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 207.

(4) أنظر : رسالة في فضائل الأندلس ، 2/183.

ومما سبق يمكننا أن نصيغ السمات العامة للكتابة التاريخية بالقرن الرابع الهجري في النقاط التالية :

أولاً : تنوعت الكتابة التاريخية ، وشملت الكثير من الأجناس والمجالات وشجع على ذلك بالدرجة الأولى أمراء الأندلس وخلفاؤها ، لما تحققة هذه المصنفات من استقرار وتوثيق للأنساب والأخبار ، وتحليل لقادة الفتح ، وحكام الأندلس ، والدولة الأموية ، وليس أدل على ذلك من أن الخليفة الحكم المستنصر نفسه كانت له تقييمات وتدوينات خاصة بالعديد من أجناس الكتابة التاريخية كالأنساب والطبقات والتراجم وتاريخ المدن ، وتاريخ الدول ، والتاريخ العام أو العالمي ، ومعاجم الشيوخ وخلافه⁽¹⁾.

ثانياً : شهدت الكتابة التاريخية تطوراً ملموساً في جنس التراجم والطبقات ، حيث سجل المؤرخون تطور الثقافة والفكر الإسلامي بمختلف أنواعه ، ولم تقتصر الكتابة على الترجمة لأعلام المذاهب والفرق ، وإنما اتجهت اتجاهاً دنيوياً؛ للحديث عن كل من يز من المبدعين في أى مجال من المجالات العلمية والمعرفية ، ومن ثم رأينا تحليداً للأدباء والأطباء والحكماء والنحويين والشعراء واللغويين وغيرهم⁽²⁾.

ثالثاً : غلب على المؤرخين تحرى المصدقية والتثبت من صحة المرويات وليس أدل على ذلك من العبارات التي استخدموها كقولهم : "ذكر فلان"⁽³⁾، "وقال بعض

(1) ابن الأبار: الحلة السيرة ، 1 / 202، 203.

(2) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ، ص 161؛ وانظر : شاكرا مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 382؛ فاروق عمر فوزى: التدوين التاريخي ، ص 76.

(3) أنظر على سبيل المثال : الحشني : قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص 30 ، 31 ، 32 ؛ الحشني : أخبار الفقهاء والمحدثين ، ص 9 ، 10 ، 11 .

أهل العلم⁽¹⁾، "قرأت في كتاب كذا"، "وذكر بعض الرواة من أهل الثغر"⁽²⁾، "و أخذت عن ثقة من أصحاب"⁽³⁾.

رابعا: بدأ المؤرخون يخففون بعض الشيء من التعويل على الإسناد، واكتفوا بذكر المصادر المكتوبة في مقدمات كتبهم.

خامسا: تميزت كتابات المؤرخين بأسلوب نثرى مرسل^١، بسيط سلس، بعيد عن السجع المتكلف؛ إضافة إلى اقتباسهم من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما يخدم أغراض الكتابة التاريخية عندهم، كذلك اقتبسوا من دواوين فحول شعراء عصرهم بالإضافة لاعتمادهم على الأمثال المشتهرة على الألسنة.

سادسا: ابتعد المؤرخون عن رواية الأساطير والخرافات في مصنفاتهم، واتجهوا تجاهها دنيوياً في تفسير الأحداث التاريخية؛ فعولوا مثلاً على التفسير الاقتصادي لبعض الأحداث؛ ومن ذلك ربط كتاب "أخبار مجموعة" بين تدهور الجباية وسوء الحالة الاقتصادية للبلاد وبين الحركات الانفصالية.

وحيثما نصل إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي - وهو القرن الذي شهد بزوغ نجم ابن حزم - نجد مجموعة من المؤرخين الأندلسيين من أبناء قرطبة أمثال ابن حيان وابن عبد البر وابن حزم الذين عاصروا عظمة الدولة الأموية في مقتبل شبابهم، ثم رأوا تمزقها وسقوطها من خلال فتنة دامية، ولا شك أن هذه الأحداث المؤلمة قد أثرت في نفسية هذا الجيل من أبناء قرطبة، وصبغت تفكيرهم وكتاباتهم بالمرارة والقسوة والأسى، كما فتحت أذهانهم وشحذت همهم إلى تقص

(1) الخشني: قضاة قرطبة، ص 30؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط 1، 1982، ص 35.

(2) الخشني: أخبار الفقهاء ص 41.

(3) نفس المصدر السابق والصفحة.

الحقيقة والبحث عن أسباب هذه المحنة التي أصابت بلدهم، وعن وسائل علاجها⁽¹⁾، وهو ما سنرى أثره جلياً على ابن حزم وكتابه التاريخية خلال هذه الدراسة.

ويعتبر ابن حيان القرطبي (469هـ / 1070م) من أعظم مؤرخي أسبانيا الإسلامية والنصرانية على السواء في العصر الوسيط، فهو مؤرخ عاصر الخلافة الأموية، وشاهد عيان لأحداث عصره لا سيما فترة الأحداث الدامية التي أدت إلى سقوط الخلافة⁽²⁾. وقد أثنى عليه العديد من المؤرخين⁽³⁾ ويرى أحد الباحثين المحدثين أن ابن حيان يضارع المشاركة المؤرخين أمثال المسعودي وابن الأثير⁽⁴⁾.

وتتجلى عظمة ابن حيان في كتاباته الكثيرة ومنها كتاب "المقتبس في أخبار أهل الأندلس"، والذي يعد في جنس تاريخ الدول والحكام، وهو في عشرة أجزاء، تناول فيه تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى عصر ملوك الطوائف. وقد وصفه ابن حزم بقوله: "من أجل كتاب ألف في هذا المعنى"⁽⁵⁾، وله كتاب "المتين" وهو تاريخ للأندلس يقع في ستين جزءاً على حد وصف المصادر، وهو أيضاً في جنس تاريخ الدول والحكام، ولابن حيان كتاب آخر في نفس جنس الكتابة التاريخية، وهو كتاب أخبار "الدولة العامرية" أو "المآثر العامرية"، وهو مؤلف ضخيم، تقصى فيه ابن حيان سيرة المنصور بن أبي عامر وتفصيل غزواته.

(1) أنظر، العبادي: من التراث العربي الأسباني، ص 47.

(2) انتصار عبدالنبي: لسان الدين بن الخطيب مؤرخاً، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2015م، ص 22.

(3) الحميدى: الجذوة، ص 200؛ وانظر: الضبي: البغية، ص 275.

(4) محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص 273.

(5) أنظر: رسالة في فضائل الأندلس، 184/2.

أما كتاب "البطشة الكبرى" فقد خصصه لدولة بني جهور والنكبة الجمهورية وتفصيل سقوطها⁽¹⁾، وهو أيضا في جنس تاريخ الدول والحكام، وللأسف لم يصلنا من هذه المؤلفات غير القطع الخمس التي حققت ونشرت من المقتبس، فضلا عن شذرات وروايات في ثنايا المصادر التاريخية.

ومن أبرز مؤرخي الأندلس وأعظمهم في القرن الخامس الهجري ابن حزم الظاهري الذي نقل التاريخ من مجرد رواية للخبر إلى النقد المعتمد على أصول عقلية ومنطقية مبينا ما بالتاريخ من أساطير وخرافات وروايات كاذبة⁽²⁾. ويعتبر ابن حزم من مؤسسي فلسفة التاريخ والأسبق لابن خلدون - وإن كان الأخير نال شهرة أكثر من الأول في التأسيس لفلسفة التاريخ إلا أنه كان تابعاً له - وهو ما ذهبنا إليه في كتابنا "ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي"، واحتججنا على ذلك بما يلي:

أولا: استناد ابن خلدون على ابن حزم في أكثر من موضع في كتابه (العبر) وترجيحه لآراء ابن حزم.

ثانيا: مناقشة ابن خلدون بعض القضايا التي ناقشها ابن حزم سالكا في تحليلها نفس أسلوب ابن حزم، مثل مسألة جيوش بني إسرائيل وعدد من يطبق حمل السلاح في عهد موسى عليه السلام⁽³⁾.

(1) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، تحقيق ليفي برونسفال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006؛ 151، 98/2؛ بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 247، محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص 276.

(2) عبد الباقي السيد: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، ص 258.

(3) المرجع نفسه، ص 259.